المحاضرة الرابعة: دراسة الحضارة في الجغرافيا التاريخية

الحضارة نظام اجتماعي مؤلف من عدّة عناصر في مقدمتها الموارد الإقتصادية والنظم السياسية، والعلوم والفنون والتقاليد الخلقية، والحضارة ليست وليدة عصر معين أو حقبة معينة، وهي نتيجة لتداخل عوامل يختلف تواجدها بنسب متفاوتة من منطقة لأخرى، والحضارة مشروطة بطائفة من العوامل هي التي تستحث خطاها أو تعوق مسارها، ومن أبرز العوامل:

أولا- العوامل الجيولوجية: وحسب وول ديورانت فإنّ الحضارة مرحلة تتوسط عصرين من جليد، فتيار الجليد قد يعاود الأرض في أي وقت فيغمرها من جديد، بحيث يطمس منشآت الإنسان بركام من ثلوج وأحجار، ويحصر الحياة في نطاق ضيق من سطح هذه الأرض، وشيطان الزلازل الذي يبني حواضرنا في غفوته، ربما تحركه حركة خفيفة بكتفيه فابتلعنا في جوفه[1].

ومن المعلوم أن دراسة الحضارات في الجغرافيا التاريخية يخضع لمعيار الزمن أو الحقبة التاريخية، كما يرتبط بالمكان أو البيئة التي استقر فيها الإنسان، **و**منذ أزمنة غابرة بدأ الإنسان يتدرج في الحضارة عبر مراحل كانت ثمرتها مجموعة من الإختراعات التي جعلت سيادة الإنسان على البيئة وعلى الحيوانات تتوطد أكثر مما ساعده على توفير الراحة والطمأنينة، ويبدو أنّ مولد الحضارة الإنسانية وتطورها قد تحكمت فيه البيئة والتاريخ الذي له دور كبير في تحقيق ثمار الحضارة .

ثانيا-العوامل الجغرافية والطبيعية: تشكل البيئة مستقرّ الإنسان وموطن قيام الحضارة، كما أن تاريخ الحضارة هو تاريخ صراع الإنسان مع الطبيعة وتفاعله معها، وتختلف البيئات باختلاف الموقع الجغرافي كما تتميز بميزات طبيعية تساعد على نشأة الحضارة ومن أهمها:

المناخ: المناخ المعتدل يساعد على التقدم عكس المناخ البارد والحار.

التربة: التربة الخصبة تستحث خطاها بما تساهم به من تنوع في الغطاء النباتي .

المياه: شرط ضروري للحياة ولقيام الحضارة، فالمناطق التي تتوفر عليها المياه تساعد على تكوين حضارة مدنية؛ بينما المناطق الصحراوية والتي يغلب عليها الجفاف يعرف فيها مسار الحضارة تباطؤ[2].

ثالثا- الإطار الزماني لظهور الحضارات :

1-أهمية الزمن في دراسة الحضارة: ارتبطت الحضارة ارتباطا وثيقا بعامل الزمن والمعبّر عنه بالتاريخ لأنّ التاريخ حسب العلاقة هو الزمن والثمرات الحضارية مرتبطة بالوقت بالإضافة إلى جهد الإنسان، ولا تتبين القيمة الحضارية للمنجزات وثمارها إلا بالتجربة التي تحتاج إلى زمن ووقت للوصول إلى تحقيق الثمار[3]، فالثمرات الحضارية تحتاج إلى زمن كي تنضج، وثمار الزروع لا تنبت إلا بفعل الزمن، وهو ما عبّر عنه مالك بن نبي بقوله" ..

---

[1] وول ديورانت قصة الحضارة ، ج1 ، نشأة الحضارة ،ص 03.

[2] .حسان حلاق، تاريخ الحضارات ،ص 12.

[3] .حسين مؤنس،الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها ، ص 13.

وبفكرة الزمن يتحدد معنى التأثير والإنتاج فالزمن له دور كبير في تكوين الفكرة والنشاط ، والمعاني والأشياء" [4].

2-الإطار الزماني لظهور الحضارات: هناك حضارات اشتهرت بأسبقيتها ويبدأ تاريخ الحضارة بأقدم شعب متمدن، ويستغرق فترة التاريخ القديم فهو يبدأ من العصر الحجري القديم الذي ينتهي في 10000 ق.م أو 8000 ق.م، وهو بدوره مقسم إلى مرحلتين رئيسيتين: - مرحلة تسبق الكتابة، وقد أطلقوا عليها اسم: **"ماقبل الكتابة " أو"ماقبل التاريخ"**، والأخرى مرحلة بداية الكتابة: وأطلق عليها اسم **"العصر التاريخي"**: ويبدأ حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وينتهي في القرن الخامس بسقوط روما سنة 476م [5].

ونتيجة الكشوفات الأثرية فإنّ الأقرب إلى الصواب أن الحضارة انطلقت من جنوب غرب آسيا مكان ظهور الإنسان الحديث، وإيجاد الأواني الفخارية في شمالي منطقة الهلال الخصيب، وانتشرت في باقي الأنحاء واستغرقت آلاف السنين لينتقل بعدها الإنسان المتحضر ليستقر في مصر وشمال الهند وأوربا حوالي سنة 5000 ق.م، ووصل الإنسان إلى نهر الأنديز والحبشة والجزر البريطانية قبل 3000 ق.م [6].

---

[4].مالك بن نبي، مشكلات الحضارة شروط النهضة ،ترجمة: عمر كامل مسقاوي ، عبد الصبور شاهين ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ص 186.

[5]. شارل سينوبوس، تاريخ حضارات العالم ،ترجمة محمد كرد علي،الدار العالمية للكتب والنشر ،القاهرة ،2012 ،ص8.

[6]. صادق صبور، المرجع السابق،ص 37.